# هل يستجيب الله للصلوات؟

المطران إيريناوس (ستينبرج)
مطران لندن وأوروبا الغربيّة في الكنيسة الروسيّة خارج روسيا

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. آمين.

"هل يستجيب الله للصلوات؟". هذا سؤالٌ طرحَتْه عليَّ بحَرفيَّته فتاةٌ أتت إليّ في هذا الأسبوع، لتسألني عن عيشها حياة الصلاة، وقد بدا التأثُّر واضحًا في صوتها. كثيرًا ما سُئلتُ هذا السؤال على مرِّ السنين، وهو تساؤلٌ يستحقّ التأمّل، إذ يبدو لكثيرين أنّ الله لا يستجيب للصلوات، أو يستجيب لبعضها لا لبعضها الآخر، ويصغي إلى هذه الصلاة لا لتلك. وهذا الواقع كما يظهر للناس، أو هذا التصوّر للواقع، يقود عددًا ليس بقليلٍ منهم، بل ويمكن القولُ الكثيرَ منهم، إلى الشكّ والخوف وعدم الإيمان. فلماذا يستمع الله لصلاةٍ معيّنةٍ لا لغيرها؟ لماذا يستجيب لهذا الطلب وليس لذاك؟ والمُقلق أكثر ربّما، هو لماذا يجيب الله سؤالًا حين يطرحه فلانٌ وليس حين أطرحه أنا؟

حسنًا، كما هي حال أمورٍ كثيرة، إنّ كيفيّة صياغة السؤال وصياغتنا لإجابتنا هي ما يسبّب لنا المتاعب، لأنّ حقيقة الأمر هي ببساطةٍ ووضوحٍ أنّ الله يسمع كلَّ صلاةٍ ويُجيب كلّ صلاة. هذا هو التعليم الجامع لكنيستنا، وهذا هو إقرار وشهادة القدّيسين والنسّاك عبر العصور كلّها. ما من التماسٍ واحدٍ يرفعه أيُّ رجلٍ أو امرأةٍ إلى الله إلّا ويسمعه الله ويستجيب له.

إنّ الصعوبة التي نواجهها في حياتنا الروحيّة هي أنّه لدينا توقّعات حول الإجابات التي نرجو أن يقدّمها لنا الربّ أو القدّيسين أيضًا عندما نصلّي إليهم. في أغلب الأحيان، لا نلتمس أن تتمّ مشيئة الله كما يرى هو مناسبًا، بل نميل إلى التماس مشيئة الله بالطريقة التي نرغب نحن فيها، سواءٌ أأعربنا عن ذلك صراحةً أم كانت الفكرة كامنةً في أذهاننا بينما ننطق في صلواتنا بكلامٍ كثير.

إلّا أنّ ما يريده الإنسان الساقط غالبًا من الله حين يطلب معونته، هو تحقيق إرادته الشخصيّة. "يا ربّ، إنّني أتألّم فأزِلْ معاناتي... إنّني مريضٌ فاشفِ مرضي... أنا حزينٌ فانزعْ عنّي كآبتي". بيد أنَّ الله رحيمٌ ورؤوفٌ بما يفوق حدود فهمنا. إنّنا ملطَّخون جدًّا بالإثم السائد في عصرنا، بخطايانا الشخصيّة وخطايا أولئك المحيطين بنا، إلى درجة أنَّ تصوُّرنا للحياة الروحيّة ولحياتنا في المسيح يضيق أكثر فأكثر. وعندما لا يتوافق أمرٌ ما مع رؤيتنا، نسأل الله، لا بل نتوقّع منه، أن يصحّح الأمر ليعود كما نريده نحن. وإنْ لم يقم الله بذلك، نصبح شديدي الخوف أو الغضب أو الذعر أو الاستياء.

غير أنّ رؤيةَ الله لا يمكن أن تحدّها إثميّتنا؛ ومعرفة الله لما هو الأفضل والأصوَب والأصلح لنا ليست مقيَّدةً بزمنيّتنا؛ ورأفة الله لا يحدّها خوفنا. إنّ الله قادرٌ على الاستجابة لطلباتنا، وهو بالتأكيد يفعل ذلك دومًا، ولكن ليس بمجرّد الاستجابة للكلام أو الطلبات التي أطلبها منه بحسب حدودي الضيّقة ومحدوديّتي، بل يتجاوز ذلك الكلمات ناظرًا إلى أعماق القلب، ويستجيب بتحقيق ما هو حقًّا أفضل وأصلح لخلاصي.

حين أصرخ إلى الربِّ قائلًا: "يا ربُّ إنّي سقيمٌ ومريض، اشفِ مرضي"، فإنَّ الله، وكما أقول مرارًا خلال خدمة تقديس الزيت التي تُقام في الصوم الكبير، سيشفي دائمًا كلَّ إنسانٍ مريض، لكن ليس بالضرورة عبر عِلاج مرضه. إنّنا نُقارب المسألة باصطلاحاتنا الأرضيّة هكذا: إذا كنتُ أعاني مرضًا معيّنًا، فالشفاء سيعني إقصاء ذلك المرض. وطبعًا في بعض الأحيان، يفعل الله ذلك بالضبط. ولكن، ما الذي نريده أن يُشفى بالفعل؟ أهو الجسد فحسب؟ أم نريد شفاء الحياة لأجل الأبديّة؟

إنّ المعاناة الوقتيّة في هذه الحياة، من جرّاء مرضٍ أو ألمٍ أو مشكلةٍ جسديّةٍ ما، قد تكون أحيانًا دواءً مُطهّرًا يشفي النفس والقلب، ويعلّم الصبر والمحبّة والتواضع والقدرة على إيجاد القوّة في الله نفسه بدلًا من أجسادنا. ربّما هذه هي بالضبط ماهيّة الشفاء: أن يسمَح الله بأن نعاني مرضًا ما لكي يشفي ذلك المرضُ نفسنا.

عندما نلتمس رحمة الله، عندما نطلب إزالة جهاداتنا وتستمرّ تلك الجهادات، ونتساءل لماذا لا يرحمنا الله، فربّما يكون ما يراه الله أو يقوله لنا هو أنَّ الجهادات هي ما نحتاج إليه، وأنّ من دونها قد نصبح راضين عن

أنفسنا، بل وحتّى متكبّرين ومتعجرفين أمام البشر وأمام أنفسنا وأمامه. أمّا من خلال الجهاد، فقد نتعلّم أن نتبع الله فعليًّا.

إنّ الله يستجيب لكلّ صلاةٍ ولكلّ إنسان، وما يجب علينا أن نتعلّمه، نحن كمسيحيّين، هو كيف نتلقّى إجاباته، كيف نقتبل مشيئته بتواضعٍ كاستجابةٍ لطلبتنا. فكثيرًا ما يكون الأمر الذي نطلبه ليس ما نحتاج إليه، والله برحمته لا يغضب منّا لطلبنا الأمور الخاطئة، ولا يعاقبنا على الرغبة الأنانيّة التي تقول: "أريد التخلّص من هذا الألم حتّى ولو كان جيّدًا لي". كلّا، إنّ الله بمحبّته يصغي إلى تلك الصلاة، ويفهم أنَّ تلك الكلمات التي قد تكون قائمةً على سوء فهم، أو غير صائبة، بل وقد تشوبها الأنانيّة، يكمن وراءها قلبٌ يلتمس الشفاء ويطلبُ الله. يستجيب الله لنا بإعطائنا ما نحتاج إليه، سواءٌ أكان أمرًا عجائبيًّا أم أمرًا يحدث بصمت؛ أكان سماعَ صوته الإلهيّ أو رؤية حضوره أم سكونًا؛ أو قد يكون لحظة خلوةٍ نتعلّم فيها أن نحبّه على نحوٍ أعمق. دائمًا ما يستجيب الله للقلب المتواضع بما يحتاج إليه ذلك القلب أكثر.

إخوتي وأخواتي، يسمع الله صلواتكم دائمًا... دائمًا. ويستجيب لها دائمًا. نسأل الله أن نتعلّم، أنا وأنتم معًا، كيف نسمع صوته، ونرى يدَيه وهما تعملان، ونُقاد عبر عطيّةِ محبّته هذه إلى الاقتراب أبدًا إليه. آمين.

*نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ*

**Source:** Bishop Irenei Steenberg (2024). *Reflections with Bishop Irenei: Does God Answer Prayer?* Patristic Nectar Publications. Youtube.